الجزء السادس

الأمراض الزهرية والزواج

الفصل الأول

السيلان والزواج (١)

إن الإقدام على الزواج مع وجود بؤرة مرضية فى الزوج جريمة لا تغتفر . ففى بعض الأمم المتمدينة يعاقب عليها عقاباً صارماً إذا ثبت أن الزوج كان قبل زواجه على علم بمرضه وعدم صلاحيته له . وقد شرحت سابقاً أسباب سكون السيلان وبينت مواطن كمونه فى غدد المجرى وأوضحت سهولة انخداع العليل بهذا السكون الغادر واطمئنانه لزوال مرضه فيقدم على الزواج ثم تحت تأثير الإفراط فى الاختلاط الجنسى فى شهر العسل أو الإفراط فى شرب الخمر أو المكيفات أو المنبهات وقتئذ يخرج المكروب من أوكاره فيعدى الزوجة الشابة البريئة فى مبدأ حياتها الزوجية فينقلب فرحها وهناؤها إلى بؤس وشقاء . فالسيلان لا شك يسبب لها التهابات فى المهبل والرحم أو المبايض تحول دون القيام بالفروض الزوجية أو تجعلها مؤلمة للزوجات التعيسات فتحرمهن لذة الحياة وتمنعهن من القيام بالواجبات المنزلية والاجتماعية ـ فكم من شابات تعيســـات التقطن العدوى من ليلة العرس الأولى من ازواج كانوا قد أصيبوا بالمرض فى حداثتهم وكم منهن يضطررن للرقاد فى السرير أو

---

(١) محاضرة ألقيت فى المؤتمر الطبى العربى الثانى الذى عقد فى مصر ٩ ـ ١٣ مارس سنة ١٩٣٩ موضوعها «الأمراض الزهرية والزواج» .

للملازمة المنزل والمعالجة شهوراً بل سنين . وكم منهن رغما عن المجهودات الطبية المتنوعة لا ينلن الشفاء إلا بالوسائل الجراحية التى تعدم أحيانا أهليتهن السابقة للأمومة وتسلبهن لذة البنين وبهجة الحياة ، وقد أحصى أحد الثقاة ان الالتهابات السيلانية التى تصيب المرأة فى رحمها ومبايضها وملحقاتها تؤدى للجراحة والجراحين ثلاثة ارباع عملهم . وفى احصاء آخر أن ٥٠ ٪ من النساء المصابات بالسيلان مصيرهن الى العقم وأن ٧٥ ٪ من عمليات إخصاء النساء سببها الأولى الجونوكوك ولذا يحتل السيلان المقام الأول من أسباب العقم فى الرجال والسيدات وفى حالة حمل الزوجة المصابة فلن يتأخر الطفل ساعة ولادته أن يلتقط العدوى فى عينيه من إفرازات الأم تسبب له رمداً صديدياً شديداً تصحبه مضاعفات خطيرة كثيراً ما تؤدى إلى فقدان النظر

مما تقدم يتضح الجرم من الزواج مع وجود هذا المرض فلذا وجب على الشاب المصاب أن لا يقدم على الزواج إلا بعد التحقق من شفائه التام بالوسائل والتجارب الآتية :

١ - تجربة البيرة والمهيجات والتوابل ونترات الفضه وان ظهرت مادة أو خيوط يجب فحصها فى المعمل والحصول على نتيجة سلبية .

٢ — إفراز البروستاتة بعد التدليك يجب أن لا يحتوى على أى مكروب ولا على أكثر من ٣ - ٥ كريات بيضاء فى ساحة المكروسكوب.

٣ — زرع السائل المنوى بعد تهييج غشاء المجرى لتحريك المكروب وإستفزازه من أوكاره داخل الغدد باستعمال وسائل التجربة

الأولى ثم زرعه لمدة لاتقل عن ستة أيام بمعمل موثوق به والحصول على نتيجة سلبية بحثه ومكرره كذلك فى غضون ستة أشهر .

٤ — مع الزرع السابق يجب الكشف على الحيـــوانات المنوية للتأكد من سلامتها وصلاحيتها للانتاج إذ كثيراً ما تكون هذه معدومة اطلاقاً ، أو ضعيفة فاسدة غير صالحة ، أو ميتة عاقبة السيلان ـ فكم من زوجات تعيسات اتهمن ظلماً بالعقاره واضطهدن لذلك مع أن الذنب كل الذنب على أزواجهن .

الفصل الثانى

الزهرى والزواج

قد شرحت سابقاً دور كمون المرض وبينت كيف أن المكروب يظل خفياً كامناً فى الغدد اللمفاوية سنين عديدة دون أن يحرك ساكناً بل دون أن ينم عن أى عرض ما ينذر المريض فينخدع هذا بسكون غادر وشفاء ظاهر فيقدم على الزواج ظاناً أنه خالى من المرض مع أنه يحمل سمومه فى دمه وفى جسمه فالزواج والحالة هذه أكبر جرماً وأشد هولاً إذ لا يقتصر الخطر على الزوجة البريئة فحسب بل يصيب أيضاً نسلها ، أولادها وأحفادها ، فالزهرى يصيب الزوجة فى جسمها وبمجموعها ويسمم كل عضو من أعضائها ، وإن شاء سوء طالعها أن تحمل فسلسلة إجهاضات لابد أن تتتابع وإن فازت مرة بتلافى الإجهاض فالجنين يولد ميتاً أو معطناً ، وإن ولد حياً فهو إما حامل أعراض « زهرى المواليد الحديثة » ساعة ولادته ثم لا يلبث أن يموت بعد بضعة أيام أو أسابيع على الأكثر أو يولد وفيه عاهات أو عيوب خلقية ، وإن ولد سوياً سليما وعاش فهو دون شك مشبع بجراثيم الزهرى الوراثى ولا مفر له من أن تعتريه أعراضه إما مبكرة حوالى بلوغه الشهر الرابع أو السادس «الزهرى الوراثى المبكر» أو متأخرة حوالى سن المراهقة «الزهرى الوراثى المتأخر» وهو بدوره لابد أن ينقل المرض أيضاً لأولاده

ولذا يجب على المصاب بالزهرى أن لا يقدم على الزواج إلا اذا استوفى الشروط الآتية :

(١) يكون قد مضى على مرضه ١٨ شهراً إن كان قد بادر فى علاج مرضه منذ الأسبوع الأول أو على الاكثر قبل انتهاء الأسبوع الثانى من ظهور القرحة .

(٢) يكون قد مضى على مرضه أربع سنوات إن كان المريض لم يبادر إلى علاج مرضه إلا بعد انقضاء أسبوعين أو أكثر من ظهور القرحة أى بعد تعميم المكروب فى الدم وتسربه فى الجسم وظهور التفاعل الايجابى .

(٣) إن كان العلاج شديداً مستوفياً فى كلتا الحالتين .

(٤) إذا استمر تفاعل الدم «فازرمان» أو غيره . فى الحالة الأولى سلبياً طول المدة ، وفى الحالة الثانية قد انقلب واستمر سلبياً على الأقل مدة سنتين متواليتين قبل الزواج ثم ظل سلبياً رغماً عن إثارته بتجربة ميليان Epreuve de Réactivalion de Milian ـ شروط صريحة أساسية لايصح بأى وجه تخطيها لما فى ذلك من الخطر على الزوجة وعلى النسل وإنى بكل إخلاص أنصح المصابين باتباعها بحذافيرها وبكل دقة قبل الزواج .

وبهذه المناسبة أذكر أن الزواج المبكر غير صحى واقصد بالمبكر العاجل قبل سن العشرين للذكور وقبل سن ١٨ للاناث . فالزواج المبكر مضنى للفتى ومضعف لقواه فهو يحط من حيوية الأطفال ونشاطهم ويزيد فى ارتفاع نسبة الوفيات فيهم . أحسن سن للزواج هو ما بين ٢٥ - ٣٠ للرجال و ٢٠ — ٢٥ للفتيات .

الفصل الثالث

الزهرى الوراثى والزواج من الأقارب ـ من عصب أو دم واحد .

لا ريب أن انواع الشذوذ والعيوب التى تطرأ على الأمهات مدة الحمل أو التى تظهر فى الأطفال الناتجة بعده من جراء تزاوج أقارب من عصب واحد قد سلم بها واحتملت زمناً طويلا ولا غرو فمنذ أجيال كان الاعتقاد سائداً بين الطبقتين العامة والخاصة أن الزواج بين الأقارب ردىء الثمرة ولا ينتج إلا أولاداً ضعفاء معتلين بعلل جسمية وعقلية يتفشى فيهم البكم والخرس والصمم والبله والعمى والجنون وغير ذلك من العيوب الجسمية والعقلية حتى صار الإنسان من طبعه يأنف الزواج من أقاربه .

وقد عرف أدباء العرب وعلماؤهم أضرار الزواج من الاقارب ولله در الشاعر العربى حيث يقول :

فتى لم تلده بنت عم قريبة

فيضوى وقد يضوى رديد القرائب

وقد نصح النبى ﷺ فى الاجتناب بالزواج من الأقارب بقوله « اغتربوا ولا تضووا » أى تزوجوا من البعاد الأنساب لا من الأقارب لئلا تضوى أولادكم لأن ولد الغريبة أنجب وولد القريبة يخلق ضاوياً أى ضعيفاً . وقد تحمل الاقدمون كل هذا أجيالا دون التوصل لمعرفة الأسباب المعقولة لذلك غير أن الأبحاث الدقيقة أثبتت أن زواج الأقارب

من العصب الواحد من شأنه أن يزيد قدر النقائص والعيوب والشواذ العائلية وهذه نظراً لسهولة انطباقها على بعضها لكونها من طبيعة واحدة ودم واحد فى كل من الزوجين القريبين فهى إما تنضم إلى بعضها فتشتد وتظهر فى الأخيرين إن كانت باقية ـ حتى ذاك الوقت خفية غير ملحوظة فيهما وإما تثير أعراضاً خطيرة فى النسل إن كانت بالعكس ظاهرة ولو خفيفة فيهما .

فالزواج بين الأقارب والحالة هذه لايسبب أمراضاً أو عيوباً فى النسل إذا كان الزوجان بصحة تامة لاغبار لوراثة مرضية من آبائهما أو أجدادهما والأدلة على ذلك ظاهرة فى عشائر وأوساط معينة حيث التزاوج بين الأقارب من عصب واحد مألوف دون أن تنتج عنه أى أمراض خاصة ، وا كثر ما تظهر هذه الشواهد فى الاختبار البيطرى حيث يحصل مربوا الخيل وغيرها على إنتاج نسل جيد بالسعى فى تزاوج خيول أصيلة من عصب واحد غير أنهم يبذلون هنا الجهد والعناية فى انتخاب الجياد المنتجة من الجياد الأصيلة الخاليـــة من أى عيب فى سلالتها ولكن إذا كان أحد الزوجين سليما غير أن فيه استعداد وتهيئة خاصة كامنة لمرض عائلى قديم كان قد أصاب أباه أو جده وعلى فرض كان هذا الاستعداد فى الزوج مثلا بنسبة ضئيلة ١٥ ٪ وتزوج من قريبته من عصب واحد بنت عمه مثلا وكان فيها ١٥ ٪ من الاستعداد لنفس المرض الوراثى ولو أنها قد تكون بصحة جيدة تامة غير أن نسلها لا شك يهيأ لأخذ المرض بنسبة مضاعفة (٣٠ ٪) .

أما فى عالم الزهرى فتتأيد بوضوح تام الأعراض المرتبطة باتصال

دم أو عصب واحد فى الزوجين — والسر فى ذلك هو أن زهرى قديم مخفّف بمضى الأجيال ومستمر فى تخفيفه بترشيحه ومروره بين الاخلاف المتعاقبة بل قد يكون على وشك الانقراض من أسرة - إذا صح هذا التعبير - يتقوى فيها فجأة بتأثير تزاوج أقارب من جد أو دم واحد .

وقد برهن Marcel Pinard, Frühunsholz, Paugot وغيرهم أن الزهرى يخف وقد يندثر على مدى الاجيال ولكن التزاوج بين نسل من جد أو سلف واحد يعطيه الفرصة ليجمع شتاته المتفرقة ويضم بقاياه المنقرضة فيحدث فى النشىء أعراضاً خطيرة ما كانت لتظهر قطعياً لولا هذه الزيجات التى تنعش الزهرى الوراثى فتجدد شبابه وترد له حياته .

ويذكر فرو هنشولتس سبع زيجات من هذا القبيل رزقت ١٤ طفلا ثلاثة منهم ولدوا معطنين واثنين ماتا فى المهد وستة ظهرت عليهم عاهات أو عيوب خلقية زهرية ولم يعش سوى أربعة فقط منهم اثنان بعد علاج زرنيخى .

لا ريب أن هذا الإحصاء المحزن يبين جسامة الضرر فى الذرية لاسيما كثرة حدوث العاهات والعيوب ولكن لم يشاهد فى هذه الزيجات بين الأقارب أى إجهاض ما . وهذا وحده يدل صراحة على أن هذا الزهرى العائلى الوراثى كان خفيفاً جداً لدرجة أنه لم يؤثر على الجنين فيسبب موته وإجهاضه إلا أنه لاشك أثر عليه بمقدار كاف ليخل بنظام التوازن الفسيولوجى فيه ، وفى هذه الزيجات السبع لم يكن الزهرى الوراثى ظاهراً فعلا فى الوالدين ، ولولا ظهور الشذوذ والعيوب فى نسلهم لما أمكن الاشتباه قط فى وجود المرض . وفى معظمها كان تفاعل الدم سلبياً غير أن

العلاج الخاص ضد الزهرى وتأثيره الناجع المنقذ لم يترك أى مجال للشك فى مصدر هذه العوارض .

وهناك حالة يذكرها بوجو Paugot مؤيدة تماماً لما تقدم : ـ

أسرة رزقت بالتسلسل ٣ إجهاضات ثم مولود ميت أعقبه طفل ولد فى ميعاده ومات بعـــد شهرين وأخيراً خمس بنات فى الظاهر ، سليمات البنية صحيحات الجسم . وفى الخلف الثالث ابنتان شقيقتان تزوجتا من شابين أخوين ابنى خالتهما والأربعة فى صحة جيدة دون أى مسحة ما من الشبهة بوجود أى أثر ما للمرض كان الأخير قد اندثر بتاتاً غير أنه نتج عن هاتين الزيجتين بين بنات وأبناء الخالات ثلاثة أطفال فقط وجميعهم ظهرت عليهم دون أى شك أعراض الزهرى الوراثى فكان التباين شاسعاً ومريعاً بين الوالدين الأصحاء الأسوياء ظاهراً وأطفالهم التعساء المصابين عياناً ـ ومما تقدم يتبين أن الزواج من الأقرباء يكشف العيوب الكامنة . أما الزواج من الغرباء فيسترها وهذا هو السر فى تحريم الشرائع والقوانين التزاوج بين الأقارب تلافياً لأضراره فى الذرية .